بسم الله الرحمن الرحيم

الاتباع للشرع المطهر ١٤٢٢/١٢/١٧هـ

الحمد لله رب العالمين ، أمر بما يستطاع ، ووعد بالأجر الجزيل لمن أطاع ، الحمد لله لم يكلف النفس إلا وسعها ، وذلل طرق وأسباب العبادة كلها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتبعين المطبقين لشرع رب العالمين ، صلى الله ..أما بعد :

فاتقوا الله عباد الله ، واتبعوا شرعه بتطبيق أوامره ، والبعد عن نواهيه ، وادخلوا في السلم كافة ، لعلكم تفلحون

عباد الله : إن الإنسان في هذه الحياة خلق لغاية عظيمة ،(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وجعل في درجة رفيعة (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (ولقد كرمنا بني آدم ..) فحقيقة الإنسان أنه عبد مملوك لله عز وجل ، خلقه وأسكنه أرضه ، وأغدق عليه نعمه ، وكلفه بتطبيق شرعه ، ثم جعل عليه كراماً كاتبين ، فمن وفى بما أمره الله كان من المفلحين ، وبقدر التفريط يقترب العبد من عقوبة رب العالمين . وكل ما حوله من أسباب إنما هي وسائل تعين العبد على العبادة ، فإذا كانت صادة له عن العبادة وجب تركها .

فعلى العبد إذا أراد السعادة في الدارين أن يتبع أوامر ربه وخالقه فإنه أعلم بمصالح عبيده من أنفسهم. عباد الله :

لقد تكاثرت النصوص الشرعية والآثار السلفية الآمرة بالاتباع الكامل للشريعة المطهرة قال جل ذكره (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وإن الناظر في أحوال الناس ، يرى التباين الكبير في مسألة الاتباع

، فمستقل ومستكثر ، والصاد لهم عن الاتباع المطلق أحد أمرين : الشهوة أو الشبهة .

فمن الناس من صدته شهوته عن اتباع شرع الله تعالى ،أو عن اتباع بعض الشرع ، ولقد ذم الله الذين يتبعون أهواءهم (أفرأيت من اتخذ إله هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)

واستنكر الله على الآخذين ببعض الشرع والتاركين لبعض (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) .

عباد الله : إن الواجب على المكلف أن يقدم أمر الله وأمر رسوله على كل غال ونفيس ، حتى على نفسه التي بين جنبيه ، كما أن الواجب على العبد أن يستجيب لأمر الله وأمر رسوله مباشرة من غير تردد أو اتخاذ الأعذار أو البحث عن الرخص ، ذكر الذهبي في السير في ترجمة عبد الله بن رواحة أنه أتى النبي وهو يخطب فسمعه وهو يقول : " اجلسوا " فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي فقال : " زادك الله حرصاً على طواعية الله ورسوله " .

نعم عباد الله هكذا فلتكن الطاعة المطلقة بلا تردد ولا أعذار .

كما يجب على العبد أن يكون وقافاً على نصوص الشرع وأن لا تأخذه العزة بالإثم . دخل رجل على عمر بن الخطاب مجلسه فقال : يا ابن الخطاب ، والله ما تعطينا الجزل ، وما تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم بأن يقع به . فقال الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين ، قال الراوي : فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله .

ولقد خرج هارون الرشيد يوما من قصره ومعه حشمه وخدمه ، فاستقبله رجل من الرعية فقال له : اتق الله يا هارون . فنزل هارون من موكبه وسجد على الأرض وقال : أخشى أن أكون ممن قال الله فيهم (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) .

عباد الله : ليرب كل منا نفسه على الطاعة المطلقة ، والاتباع الخالص ، من غير تردد ولا تقديم للشهوة على مراد الله . قال الأوزاعي : ندور مع السنة حيث دارت .

وقال ابن القيم : كان عمر بن الخطاب يهُم بالأمر ويعزم عليه ، فإذا قيل له : لم يفعله رسول الله ، انتهى "

وقال أبو الزناد : إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيراً على خلاف الرأي ، فما يجد المسلمون بداً من اتباعها .

وقال أبو عثمان الحيري : من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ، قال تعالى (وإن تطيعوه تهتدوا)

الحمد لله وحده

أما بعد :

فإن المسلم إذا كان الصاد له عن الانقياد والتسليم للشرع المطهر هو هواه ، فهو عبد عاص لربه عالم بذلك ، يوشك أن يراجع ربه ويتوب . أما إذا كان الصاد له عن الانقياد والتسليم هو الشبهة ، وتقديم العقل ، فهذا على خطر عظيم إن لم يتداركه ربه برحمة منه وفضل .

عباد الله : يرد الأمر على بعض الخلق ، فيقيس بعقله ، ويرد النصوص بمجرد الشكوك والأوهام ، وبالزعم الباطل أن العقل لا يقبل ذلك . وتلك مصيبة

عظيمة حذر منها السلف الصالح رحمهم الله ، فإذا تعارض الدليل مع عقلك فاتهم عقلك ، وما أتي أكثر الخلق إلا من عدم اتهام آرائهم ، أخرج (خ ، م) من حديث معاذة أنها سألت عائشة رضي الله عنها فقالت : ما بال الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت عائشة : أحرورية أنت ؟! فقالت : لست بحرورية ، ولكني أسأل ؟ فقالت عائشة : كان يصيبنا ذلك – يعني في زمن النبوة – فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

فانظر يا رعاك الله كيف أجابت على سؤالها بالتسليم والانقياد المجرد حيث خفيت الحكمة .

وأخرج (د وغيره) عن علي بن أبي طالب قال : لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ! زاد أبوداود : وقد رأيت رسول الله يمسح على ظاهر خفيه .

فقد أوضح علي رضي الله عنه ، أن الدين ليس بالرأي وإنما هو التسليم والانقياد ، ولو خالف العقل في الظاهر ، كما أوضح ذلك عمر بن الخطاب عملياً حيث أخرج (خ،م) أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله وقال : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

هذه عباد الله قمة الانقياد والتسليم ولو كان الأمر عرياً عن الحكمة الظاهرة ، بل لو خالف عقلك ؛ لأن عقول الناس تختلف والله فضل بعضهم على بعض .

عباد الله : لقد توفي نبينا وما من شيء لنا فيه خير إلا ودلنا عليه ولا شر إلا وحذرنا منه ، فجعلنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

أخرج الطبراني في معجمه من حديث عمر بن الخطاب قال : اتهموا الرأي في الدين ، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله برأيي إجتهاداً ، فوالله ما آلوا عليه

الحق ، وذلك يوم أبي جندل – يعني يوم صلح الحديبية – حتى قال رسول :" تراني أرضى وتأبى "

وأخرج الدارمي في سننه عن الشعبي أن رجلا جاء إلى شريح فقال : يا أبا أمية : مادية الأصابع ؟ قال : عشر عشر . قال الرجل : سبحان الله ! أسواء هاتان ؟ وجمع بين الخنصر والإبهام . فقال شريح : سبحان الله : أسواء أذنك ويدك ؟ في كل واحدة نصف الدية ، ويحك ! إن السنة سبقت قياسكم ، فاتبع ولا تبتدع ؛ فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر.

عباد الله : إن مما حداني إلى هذا الموضوع جرأة بعض الناس على نصوص الكتاب والسنة ، فما وافق عقله أخذه وما لم يوافقه رده ، بل إن ذلك ليطرد إلى فتاوى أهل العلم ، فكل يأخذ ما وافق هواه ويرد غير ذلك .

فلنتق الله عباد الله : وما بان لنا من الحكمة في أمر الله حمدنا الله عليه ، وما لم يتضح لنا حكمته سلمنا به وفوضنا أمره إلى الله .